

في نور محمد فاطمة الزهراء

وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، تعاقبوا على القيادة، وتعاقبت عليهم المنون، والراية في أيديهم، وأقدامهم على الأديم لا تريم؟ ومن لهم بأجناد يكفونهم عدوهم وإن هم منه إلاّ كقطرة في محيط؟ فجيّشهم ثلاثة آلاف؟ وجحافل الروم مائة ألف، ومعهم مثلهم: مائة ألف من المستعربين... ومع ذلك فقد يسّر ربّهم لهم، على يد خالد بن الوليد، ما بدا كأزّه انتصاراً! وها هي أيضاً غزوة مكة أو الفتح المبين، تأتي على الأثر، فترقأ الدمع، وتلأم الصدع، وتداوي الجروح. فلولا أن أوقع الله الرعب في قلوب المشركين، وسبقت مشيئته إلى عباده بالنصر، فربّما كان لها شأن غير ما كان. ثم ها هي هوازن، وما انقضت على «الفتح» إلاّ أيام، قد خرجت - رجلاً وطفلاً وامرأةً، بعددها وعدّها، بمالها وميرتها [1387] - لتجتثّ محمداً ورجاله من الجذور، وما ناصبها العدا، ولا آذنها بقتال. ويمضي المسلمون للبقاء ومعهم طائفة من أهل مكة، لعلّ كثرتهم إنّما سعت ابتغاء المغنم والسلب وليس ابتغاء نصره الدين، وفي عماية الصبح، ينحدر جند الإسلام في أحد أودية «تُهامة»، فلا يروّعهم إلاّ كتائب العدو تنقضّ عليهم من مضايق بين الشعاب قد كمنت فيها من الليل الذاهب، وراحت تشدّ عليهم شدّة رجل واحد، من كلّ جانب. ويضطرب الأمر، ويختلط على المجاهدين، وتدفعهم البغّة إلى التشتّت أو إلى النجاة، لم يثبت منهم سوى الرسول وعليّ ونفر قليل من صحابة الذين باعوا نفوسهم لله. ويصيح رسول الله منادياً الفرار: «أين أيّها الناس؟ هلمّ إليّ!».